اختلاف لهجات العرب في الهمز والتليين وعلاقتها بالقراءات

د.التواتي بن التواتي
جامعة عمار ثليجي الأغواط

تمهيد: لا نريد في مقالنا هذا أن نخوض في التحقيق في الهمز والتليين وما ينجرّ عنهما من مصطلحات أخرى كالضغط والنبر فهذا موضوعه علم الأصوات، ولنا فيه بحث في مقال آخر، وإنّما الذي يهمّنا هاهنا اختلاف لهجات العرب فحسب، وعلاقتها بالقراءات القرآنية، وقد وضعنا خطة لهذا المقال قدر له أن تكون وفق العناصر التالية:

1- تعريف الهمز والتليين لغة واصطلاحا.

2- أحكام الهمزة.

3- القراءات المهموزة.

4- القراءات غير المهموزة.

5- القراءات القرآنية واللهجات العربية.

قبل أن نتناول موضوع الهمز والتليين لابدّ من تعريف الهمز لغة واصطلاحا.

(أ)- لغة : الضغط.[1]

(ب)-اصطلاحا: الهمز يطلق على حرف من حروف الهجاء العربية له أحكام خاصة تتناول تحقيقه وتخفيفه أو نبره وتسهيله، فتحقيقه هو الإتيان بالهمز على صورته كامل الصّفة من مخرجه.[2]

والهمزة حرف مجهور لها ثلاثة مواقع، وأربعة أحوال:

-فأما مواقعها فإنها تقع مبتدأة ومتوسطة ومتطرفة.

- أما أحوالها فإنّها تكون محققة ومبدلة ومحذوفة وبين وبين.

وقد تعرض أهل الاختصاص في علم القراءات لهذه الأحوال بالشرح والبيان فقالوا:

-إذا أبدلت فإنّها تبدل من ثلاثة أحرف، وهي الألف والواو والياء وذلك كقوله تعالى: ﴿يومنون﴾ و ﴿ناكل﴾ و﴿بير معطلة﴾.

وإبدالها واوا إن ضمّ ما قبلها قولك: يُوَيِّد، وياءً إن انكسر ما قبلها كقولك: إيتِ وألفا إن انفتح ما قبلها كقولك: ياتي.[3] إن نبر الهمز(أو تحقيقه)وتسهيله (أو تخفيفه) ظاهرتان لهجيتان قديمتان تواردت الآثار فيهما من أنّ رجلا قال للنبيّ-صلى الله عليه وسلم- يا نبيء الله، فقال: «لا تنبر باسمي» أي: لا تهمز وفي رواية: فقال: «إنّا معشر قريش لا ننبر». والنبر همز الحرف ولم تكن قريش تهمز في كلامها.[4]

- أن تخفف أي: جعلها مخفّفة فهي التي تسمى همزة بين بين ومعنى قول سيبويه:(بين بين) أي: بين الهمزة وبين الحرف الذي منه حركتها إن كانت مفتوحة فهي بين الهمزة والألف وإن كانت مكسورة

فهي بين الهمزة والياء، وإن كانت مضمومة فهي بين الهمزة والواو إلاّ أنّها ليس لها تمكن الهمزة المحقّقة، ولا تقع الهمزة المخففة.

أوّلا أبدًا لقربها بالضعف من الساكن، وهذا بيانها بأمثلة توضيحية، قال كثّير عزة:

أَأَنْ زُمَّ أَجْمالٌ وفَارَقَ جِيرَةٌ وصَاحَ غُرَابُ الْبَيْنِ أَنْتَ حَزِينُ (5)

وإذا حذفت فإن حركتها تلقى على الساكن قبلها، وكذلك ما يطلق عنه: تخفيف الإسقاط وهو أن تسقط الهمزة رأسا، وقد قرأ به أبو عمرو في الهمزتين من كلمتين إذا اتفقتا في الحركة فأسقط الأولى منهما على رأى الشاطبي.

وقيل: الثانية في نحو قوله تعالى: ﴿جاء أجلهم﴾ ووافقه على ذلك في المفتوحتين نافع من طريق قالون وابن كثير من طريق البزى.

وجاء هذا الإسقاط في كلمة واحدة في قراءة قنبل عن ابن كثير في ﴿أين شركاى الذين كنتم تشاقون فيهم﴾ بإسقاط همزة ﴿شركائي﴾.

ومن ذلك فإن للفظ الجلالة تصريفاً خاصًا حاصله أن الأصل فيه «إله» فأسقطت منه الهمزة وأدخلت عليه لام التعريف فالتقت باللام بعدها ثم أدغمت اللام الأولى في الثانية للتماثل كما أدغمت في نحو الليل فصار اللفظ الكريم «الله»، وقد أشار بعضهم إلى هذا التصريف بقوله:

والاسْمُ ذو التقديس وهو الله على الأصح أَصْلُهُ إلهُ
أُسقِطَ منه الهمز ثمَّ أُبْدِلا بال لِتَعْريفٍ لذاكَ جُعِلاَ

وفي الاسم الكريم كلام كثير من جهة التصريف، ومن أراد الوقوف عليه فليراجع كتب الصرف ففيها ما يكفي الباحث وما ذكرناه ها هنا إلا إشارة فقط نقلا عن بعض من قرأنا لهم.

-وإذا كانت (بين بين) فإنّه يتلفظ بها بين الهمزة وبين الحرف الذي هو من جنس حركتها، أي: تخفيف الهمز بين بين، ومعناه أن تسهل الهمزة بينها وبين الحرف الذي منه حركتها، فإن كانت مضمومة سهلت بين الهمزة والواو، أو مفتوحة فبين الهمزة والألف، أو مكسورة فبين الهمزة والياء، وهذا يسمى إشماما، وقرأ به كثير من القراء، وأجمعوا عليه في قوله تعالى: (قل آلذكرين) ونحوه وذكره النحاة عن لغات العرب.

قال ابن الحاجب في تصريفه: واغتفر التقاء الساكنين في نحو: «الحسن عندك، وآيمن الله يمينك» وهو في كل كلمة أولها همزة وصل مفتوحة ودخلت همزة الاستفهام عليها، وذلك ما فيه لام التعريف مطلقا، وفى «ايمن الله، وايم الله» خاصة إذ لا ألف وصل مفتوحة سواها، وإنما فعلوا ذلك خوف لبس الخبر بالاستخبار، ألا ترى أنهم لو قالوا: «الحسن عندك» وحذفوا همزة الوصل على القياس في مثلها لم يعلم استخبار هو أم خبر فأتوا بهذه عوضا عن همزة الوصل قبل الساكن فصار قبل الساكن مدة فقالوا: «الحسن عندك» وكذلك «آيمن إلى الله يمينك» فيما ذكره، وبعض العرب يجعل همزة الوصل فيما ذكرنا بين بين ويقول: الحسن عندك، وآيمن الله يمينك فيما ذكرنا وقد جاء عن القراء بالوجهين في مثل ذلك، والمشهور الأول، وقد أشار الصحابة-رضي الله عنهم-إلى

التسهيل بين بين في رسم المصاحف العثمانية فكتبوا صورة الهمزة الثانية في قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿قل أؤنبئكم﴾ واوا على إرادة التسهيل بين بين قاله الداني وغيره.

والعرب تختلف مذاهبها في الهمز، فكانت تميم ألزم العرب كلّها للهمز، وقد وجدناهم يهمزون أحيانا، ويخففون أحيانا، وقريش أترك العرب كلّها للهمز، وقد يوجد الهمز في لغاتهم.

والقراء مختلفون فكان نافع وأبو عمرو أكثر القراء تركا للهمز، وقاربهما الأعشى عن أبي بكر، كل ذلك صواب؛ لأنّ الهمز إشباع وتحقيق، وتركه استخفاف وهم في ذلك مخيرون، فإذا استثقلوه في موضع حذفوا أو خففوا، وإذا استخفوه همزوا ولم يفحشوا.[6]

قلت: والقُرَّاء على تَرْك الهمز في النُّبُوَّة وما تَصَرَّف منها، ونافعٌ المدنيُّ على الهمزِ في الجميع إلا موضعين: في سورةِ الأحزابِ «للنبيِّ إن أراد» «﴿ لا تَدْخُلوا ﴾ بيوتَ النبيِّ إلاَّ» فإنَّ قالون حَكَى عنه في الوصلِ كالجماعةِ وسيأتي. فأمّا مَن هَمَز فإنه جَعَله مشتقاً من النبأ وهو الخبر، فالنبيُّ فعيل بمعنى فاعل، أي: مُنَبِّئٌ عن الله برسالته، ويجوزُ أن يكونَ بمعنى مَفْعول أي: إنه مُنَبَّأٌ مِن الله بأوامِره ونواهِيه، واستدلُّوا على ذلك بجَمْعِهِ على نُبأَء، كظريف وظُرفاء، قال العباس ابن مرداس:

يا خاتَم النُّبَآءِ إنَّك مُرْسَلٌ　　　بالخيرِ، كلُّ هدى السبيلِ هُداكا

فظهورُ الهمزتين يَدُلُّ على كونِهِ من النبأ، واستضعف بعضُ النحويين هذه القراءةَ:

«قال سيبويه: «بلغَنا أنّ قوماً من أهل التحقيق يحقّقون نَبيًّا وبَريَّة، قال: وهو رديء»، وإنما استردَأَه؛ لأن الغالبَ التخفيفُ».

وقال أبو عبيد: «الجمهورُ الأعظمُ من القرّاء والعوام على إسقاط الهمز من النبيّ والأنبياء، وكذلك أكثرُ العرب مع حديث رويناه، فذكر أنّ رجلاً جاء إلى النبي -ﷺ- فقال: «يا نبيءَ الله» فهمز، فقال: «لست نبيءَ الله» فهمز، «ولكن نبيُّ الله» ولم يهمز، فأنكر عليه الهمز.

وقال لي أبو عبيدة: العربُ تُبْدِل الهمزَ في ثلاثةِ أحرف: «النبي والبريَّة والخابية» وأصلهنَّ الهمزُ»، قال أبو عبيدة: «ومنها حرف رابع: «الذُّرِّيَّة» من ذرأ يذرأ، ويدل على أن الأصلَ الهمزُ قولُ سيبويه: إنهم كلَّهم يقول: تنبَّأ مسيلمة فيهمزون، وبهذا لا ينبغي أن تُرَدَّ به قراءة هذا الإمام الكبير.

أمَّا الحديثُ فقد ضَعَّفوه، قال ابنُ عطية: مِمَّا يُقَوِّيَ ضعفَه أنه لمَّا أَنْشده العباس: «يا خاتم النُّبَآء» لم يُنْكِرهْ، ولا فرقَ بين الجمع والواحد»، ولكنَّ هذا الحديثَ قد ذكره الحاكم في المستدرك، وقال: هو صحيحٌ على شرطِ الشيخين، ولم يُخْرجاه.

قلت: فإذا كان في ذلك كذلك فَلْيُلْتَمَسْ للحديثِ تخريجٌ يكونُ جواباً عن قراءة نافع، على أن القطعيَّ لا يُعارَضُ بالظني، وإنما نذكره زيادةَ فائدةِ والجواب عن الحديث أن أبا زيد حكى: «نَبَأْتُ من أرضٍ كذا إلى أَرْش

كذا» أي: خَرَجْتُ منها إليها، فقوله: «يا نبيءَ الله» بالهمز يُوهم يا طريدَ الله الذي أخرجه من بلدِهِ إلى غيره، فنهاهُ عن ذلك إيهامِهِ ما ذكرنا، لا لسبب يتعلَّق بالقراءةِ.

ونظيرُ ذلك نَهْيُه للمؤمنين عن قولهم: «راعِنا»، لَمَّا وَجَدَتِ اليهودُ بذلك طريقاً إلى السبِّ به في لغتهم، أو يكونُ حَضّاً منه-عليه السلام- على تحرِّي أفصحِ اللغاتِ في القرآن وغيره.(7)

تنبيه هام: هل هذه القراءات توقيفية أم هي طريقة خاصة بكلّ قارئ حسب هواه؟ اختلف العلماء في أمر هذه القراءات إلى فريقين:

(أ)-فريق يراها وحي من الله، وأنّه لا تغاير بينها وبين القرآن وهي توقيفية وله حججه، ومن أدلّة هذا الفريق ليثبت وجهة نظره: إنّ القرآن يخبرنا أنّ الله أمر نبيّه -صلى الله عليه وسلم-أن يتبع ما يتلى عليه من الآيات والذكر الحكيم بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قراءة وتطبيقا وأمر أن يقرئ الناس على مكث بصريح القرآن قال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا(106)﴾ فهذان النّصان يدلاّن على أنّ القراءة هي وحي من الله وبلّغها رسول الله-ﷺ-إلى أمّته وأنّ اختلافها كان توسعة ورحمة من الله على عباده، وقد تلقّاها صحابة رسول الله-ﷺ-ولعلّ واقعة عمر بن الخطاب وهشام خير دليل: إذ أنّ كلّ منهما خاطب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فقال: «أقرأتنيها يا رسول الله» مّما يعني أنّه ما كان لأحد

من الصحابة، ولو كان عمر–رضي الله عنه– أن يقرأ حسب هواه بل وِفْق ما أقرأه رسول الله–ﷺ–.

وعلى ضوء ما قدمناه؛ فإنّ المصدر الوحيد للقراءات القرآنية إنّما هو وحي السماء إلى النّبيّ–صلى الله عليه وسلم– بلّغه بكلّ دقّة وبكلّ حركة إلى أصحابه ،فكان يقرئهم القرآن كما أنزله الله عليه، عن ابن مسعود أنّ النبيّ ﷺ كان يقرئهم العشر آيات فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلّموا ما فيها من العلم والعمل.[8]فإذا ما علمهم القرآن فأتقنوا تلاوته أحبّ أن يسمعه منهم توثيقا لما سمعوه.

روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود–رضي الله عنه– قال: قال لي رسول الله–صلى الله عليه وسلم–: «اقرأ عليّ القرآن» قلت : يا رسول الله اقرأ عليك وعليك أنزل، قال: إنّي أحبّ أن أسمعه من غيري فقرأت عليه سورة النساء.حتى إذا جئت على هذه الآية : (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاَءِ شَهِيدًا)النساء/قال: «حسبك الآن» فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان.[9]

فكان النّبيّ–صلى الله عليه وسلم– يتعهّد أصحابه بتعلم القرآن وحفظه لهم على ظهر القلب حتى أصبحت صدورهم سجّلا لما نزل من الحقّ، وقد يحدث أن يقرئ رسول الله ﷺ بعض أصحابه القرآن قراءة لم يقرئها للآخر فيسمع أحدهما فينكر عليه عدم سماعه لها من رسول الله ﷺحدث هذا لعمر بن الخطاب مع هشام بن حكيم وحدث هذا لأبيّ بن كعب–رضي الله عنه– مع رجل حتى دبّ الشكّ في نفس أبيّ

وضرب رسول الله ﷺ صدره واستعاذه من الشيطان الرجيم، وتبيّنَ من الواقعتين أنّ رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أقرأ كلا منهما بحرف مخالف للآخر

يقول الزرقاني في هذا الصدد: ثمّ إنّ الصحابة قد اختلف أخذُهم عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد ومنهم من أخذه عنه بحرفين ومنهم من زاد ثمّ تفرّقوا في البلاد وهم على هذه الحال فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم وأخذ تابعي التابعين وهلمّ جرا حتى وصل الأمر على هذا النحو إلى الأئمة القراء المشهورين الذين تخصّصوا وانقطعوا للقراءات يضبطونها ويعنون بها وينشرونها.[10]

وذهب بعضهم إلى عدم التفريق بين القرآن والقراءات، فكلّ قراءة عندهم قرآن، حتى ولو كانت شاذة.

وهو قول نقله ابن الجزري عن أبي حيان الأندلسي، وعن ابن دقيق العيد.

قال أبو حيان الأندلسي: «وعلى ما ذكره هؤلاء من المتأخرين من تحريم القراءة الشاذة يكون عالم من الصحابة والناس من بعدهم إلى زمننا قد ارتكبوا محرّما فيسقط بذلك الاحتجاج بخبر من يرتكب المحرم دائما وهم نقلة الشريعة فيسقط ما نقلوه فيفسد على هؤلاء نظام الإسلام...ثمّ قال: وكان أبو الفتح محمّد بن عليّ(ابن دقيق العيد) يستشكل هذه المسألة ويستصعب الكلام فيها .

وكان يقول: هذه الشواذ نقلت نقل آحاد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- فيعلم ضرورة أنّ رسول الله ﷺ قرأ بشاذ منها، وإن لم يعين كما أنّ حاتما أخباره في الجود كلّها آحاد، ولكن حصل من مجموعها الحكم بسخائه، وإن لم يتعين ما تسخى به، وإذا كان كذلك فقد تواترت قراءة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالشاذ، وإن لم يتعيّن بالشخص فكيف يسمى شاذا والشاذ لا يكون متواترا.(11)

تعليق: «نحن نتفق مع ابن دقيق العيد على أنّ القطع بأنّ من هذه القراءات (التي اصطلح علماء القراءات على تسميتها: شاذة) ما قرأه الرسول ﷺ ولكن لا نستطيع القطع في أفراد هذه القراءات بأنّ الرسول -صلى الله عليه وسلم- قرأها؛ لأنّ الصحابة -رضي الله عنهم- في زمن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- لم يجمعوا عليها فنحن نتوقف فيها ولا نقطع بقرآنية هذه الأفراد على العموم إذ لا توافق الرسم كما أنّنا لا نلغيها تماما بل نستفيد منها في التفسير واللغة.

كما أنّنا لا نقطع بأنّ هذه القراءات الشاذة ليست قرآنا كما لا نقطع بأنّها قرآن، وهذا القول ينبني على أصل وهو ما يدعو إلى التساؤل: هل يجب القطع فيما لم يثبت كونه من الأحرف السبع بأنّه ليس منها؟ الذي عليه جمهور العلماء أنّه لا يجب القطع بذلك، إذ ليس ذلك ممّا وجب علينا أن يكون العلم به في النّفي والإثبات قطعيا».(12)

وينسب علماء اللغة أنّ تحقيق الهمز إلى بني تميم على حين تخفيفها، أو تسهيلها إلى الحجازيين قال سيبويه: اعلم أنّ كلّ همزة

مفتوحة كانت قبلها فتحة فإنّك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة وتكون بزنتها محقّقة ،غير أنّك تضعّف الصوت ولا تتمّه وتخفي لأنّك تقرّبها من هذه الألف وذلك قولك: سَاَلَ في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقّق كما حقّق بنو تميم وقد قرأ قبل (بين بين)[13]

وقال ابن يعيش: الهمزة حرف شديد مستثقل من أقصى الحلق إذ كان أدخل في الحلق فاستثقل النطق إذ كان إخراجه كالتّهوّع،فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز ،وَهُوَ نَوْع استحسان لثقل الهمزة،والتحقيق لغة تميم وقيس قالوا: لأنّ الهمزة حرف فوجب الإتيان به كغيره من الحروف.[14]

الهمزة عند القدماء حرف مجهور من أقصى الحلق.[15] أو هي: حرف مجهور سَفَل في الحلق، وَبَعُدَ عن الحروف وَحَصَلَ طَرَفا فكان النطق به تكلّفا.[16]

ولهذه الشدّة الموصوفة بها اختلف موقف العرب منها ولذلك كثر تردّدها في كتاب سيبويه ونبّه غير مرّة إلى ما كان ينالها من تغيير في لغات العرب المختلفة فكان من العرب من يقلبها إلى صوت آخر قريب منها فيبدلها هاء فيقول في (إياك: هياك)، وعلى هذا جاءت قراءة ابن السوار الغنوي (هيّاك نعبد) بإبدال الهمزة المكسورة (هاء) وبإبدال الهمزة المفتوحة (هاء).[17]

قال ابن جني: فأمّا فتح الهمزة فلغة فيها: إياك وأياك وهيّاك وهياك، والهاء بدل من الهمزة كقولهم: في أرقت: هرقت، وأردت: هردت،

أرحت الدّابّة: هرحت وأنرت الثوب: هنرت، قال طفيل الغنوي:

فهياك والأمر الذي إن توسَّعَتْ موارده ضاقت عليك مصادره[18]

وكان هناك من العرب من يقلب الهمزة(ياء) في إسرائيل: إسرايل، وفي جبرائيل: جبرايل وفي (توضّأ) فيقول توضّيت وفي (أرجأ) فيقول: أرجيت وعلى هذا جاءت قراءة **ترجي من تشاء** الأحزاب/51 ومن يفعل ذلك من العرب يحمل(نبيّ) على (وصيّ) فيقول: أنبياء، أما من يهمز فيحمل (نبئ) على (عريف) فيقول(نُبَآء).

وجاء للعرب لغة يخففون فيها من الهمزة وينقلون حركتها على ما قبلها من الحروف فيقولون (مَنَ ابوك) في (مَنْ أَبوك) و (مِنَ اجل) في (مِنْ أَجْلِ).

وربّما حذفها قوم من الفعل في الاستفهام تخففا فقالوا في (أرأيْت) أَرَيْتَ). وإذا كانت الهمزة مفردة على هذه الحال من الثقل عند قوم من العرب فإنّها أشد ثقلا عليهم إذا اجتمعت مع أخت لها في الكلام وهكذا يحولها قوم (ياء) فيقولون في(أَإنا) فيقولون (أيِنّا)و(أ إذا) فيقولون (أيِذا). وإذا جاءت همزة الاستفهام مع همزة (أل)التعريف خفف الثانية قوم فتحولت ألفا فقالوا: (آللَّه أذن لكم) و﴿أَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ(59) (النمل / و(أَالْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنْ الْمُفْسِدِينَ(91) ﴾ يونس /

وإذا كان شأن قوم من العرب في استثقالها فثمّة من كان لا يراها كذلك بل يحقّقها كيفما جاءت ولغته لغة شاذة قليلة وبلغت لغة قيس

في هذا القول: (اللهم اغفر لي خطائئي)، بل ذهب بعض العرب إلى قطع الموصولة وتحقيقها فيقول: (يا إبني) .

أمّا في القراءة فتحقيق الهمزتين جميعا مذهب أهل الكوفة وبعض أهل البصرة وتخفيف الآخرة قراءة أهل المدينة.[19]

ومن الحقائق العامة المشهورة عن النطق العربي أنّ (الهمز) كان من الخصائص البدوية التي اشتهرت بها وسط الجزيرة وشرقيها ، تميم وما جاورها وأنّ عدم الهمز خاصة حضرية، امتازت بها القبائل في شمال الجزيرة وغربيها.[20]

وجاء في لسان العرب ما رواه أبو زيد: أنّ أهل الحجاز وهذيل وأهل مكّة والمدينة لا ينبرون، وقف عليها عيسى بن عمر فقال: ما أخذ من قول تميم إلاّ بنبر،وهم أصحاب النبر،وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا.[21]

علّل الباحثون المحدثون أنّ النبر خاصية بدوية لدى أهل البادية ومن القبائل التي اشتهرت بذلك: تميم

وما جاورها من قبائل وسط الجزيرة وشرقها: كغَنِي وعكل وأسد وعُقيل وقيس وبني سلامة من أسد،وهذا يعود إلى ميلهم الشديد للسرعة في النطق وإلى التماسهم أيسر السبل إلى هذه السرعة حتى أصبحت عادة لدى البدوي أملتها عليه ضرورة انتظام الإيقاع كما حتمتها ضرورة الإبانة عما يريد من نطقه لمجموعة من المقاطع المتتابعة، السريعة الانطلاق على لسانه، فموقع النبر كان دائما أبرز المقاطع وهو ما كان بمنحه كلّ اهتمامه وضغطه.

وهذه الظاهرة لها ما يفسّرها إذ أنّ بعض القبائل البدوية أدت بها المبالغة في تحقيق الهمزة إلى أن تحوّلت الهمزة في ألفاظهم عينا في مواقع معيّنة، ومن ذلك ما نسب إلى تميم وقيس عيلان ما يسمى بالعنعنة، ونعني بها قلب الهمزة المبدوء بها عينا، وأنشد يعقوب:

فلا تلهك الدنيا عن الدين واعتمل   لآخرها لا بدّ عن ستصيرها

وقال ذو الرمّة:

أَعَن تَرَسَّمتَ مِن خَرقاءَ مَنزِلَةً   ماءُ الصَبابَةِ مِن عَينَيكَ مَسجومُ

أراد الشاعر في البيت الأوّل (لابدّ أن)وفي البيت الثاني (أ أن ترسمت).وقد جاء في رواية نسبت إلى الفراء قال: إنّ بني تميم وقيس ومن جاورهم يجعلون ألف(أن) إن كانت مفتوحة(عينا) فيقولون:سأشهد عنّك رسول الله فإذا كسروا رجعوا إلى الهمزة![22]

وهذا الذي رواه الفراء لم يقنع د/إبراهيم أنيس؛ لأنّ المسألة ليست مجرّد فتح أو كسر للهمزة وإنّما الذي يبدو أقرب إلى الاحتمال هو أنّ هذه القبائل وكلّها من البدو كانت تميل إلى الجهر بالأصوات لتجعلها واضحة في السمع، أيّا كان موضعها من الكلمة، وبأيّة حركة تحركت، وأقرب أصوات الحلق للهمزة هو (العين)؛ لأنّ العين صوت مجهور، وهو أقرب أصوات الحلق المجهورة للهمزة مخرجا.[23]

ويبدو أنّ دارسي اللغة تفطّنوا لظاهرة قلب الهمزة (عين) وعدّوها أقصى مراحل التحقيق للهمز وهو ما ذهب إليه الأزهري: «ومن تحقيق الهمز قولك يا زيد من أنت كقولك[من عنت] فإذا عدلت الهمزة إلى

التخفيف قلت : يا زيد من أنت فكأنّك قلت [مننت] لأنّك أسقطت الهمزة من (أنت) وحركت ما قبلها بحركتها».[24]

أمّا التخفيف وتسهيل الهمزة فهي ظاهرة حضرية اختصت بها القبائل الحضرية حسب د/أنيس فإنّها متأنية في نطقها متئدة في أدائها، ولم يشتهر عنها إدغام ولا إمالة ولذا لم تكن بها حاجة إلى طلب المزيد من مظاهر الأناة فأهملت همز كلماتها أعني المبالغة في النبر استعاضت عن ذلك بوسائل عبّر عنها النحاة بعبارات مختلفة: كالتسهيل، والتخفيف، والتليين، والإبدال والإسقاط.[25]

وهذا لا يعني أنّ لغة القبائل الحجازية قد خلت من ظاهرة النبر، حين تجنبت أو اختفت من لسانها الهمزة، وكذلك الأمر بالنسبة للقبائل البدوية أنّها كانت في أحوالها تهمز بل ظهر تحقيق الهمزة لدى القبائل الحضرية، كما اختفى تحقيقها لدى القبائل البدوية يقول سيبويه: «وقد بلغنا أنّ قوما من أهل الحجاز من أهل التحقيق، يحقّقون نبئ وبريئة وذلك قليل رديء»[26] ومن أمثلة ذلك:

-قراءة ابن كثير الذي التزم تحقيق الهمزة حتى جاءت أمثلة شاذة منسوبة إليه قرأ:(فاستوى على سُؤقه) بهمز الضمّة الطويلة.

قال أبو حيان: «وهي لغة ضعيفة» كما وردت سهّلت فيها الهمزة في لسان تميم ومن ذلك قراءة (تِيمَنْهُ) بكسر التاء.

قال أبو عمرو الداني: (هي لغة تميم) ووافقه على ذلك أبو حيان في البحر حيث رفض قول ابن عطية الذي زعم أنّها لغة قريش.[27]

وما ذهب إليه أبو عمرو الداني وأبو حيان الأندلسي هو الأصح لملاحظة غابت عن ابن عطية وهي أنّ كسر أوّل المضارع حين يكون تاء أو نونا أو همزة خاصة بدوية لا قرشية ، وهي لهجة قيس وتميم وأسد وربيعة وعامة العرب ولم يقع ذلك في لسان قريش التي كانت تؤثر الفتح في أوّل المضارع دائما ، يشترك معها في ذلك قوم من أعجاز هوازن ، وأزد السراة وبعض هذيل.[28]

في هذه المسألة يقول عبد الصبور شاهين: فليس غريبا أن يكون الهمز تميميا بدويا والتخلص منه حجازيا حضريا، وأن يكون التزم له خاصة بيانية امتاز بها لسانها، إلى جانب خواص أخر عنها[29] ، وما رواه الطبري عن أبي العالية قال: قرأ على رسول الله ﷺ من كلّ خمس رجلٌ فاختلفوا في اللغة، فرضى قراءتهم كلّهم، فكان بنو تميم أعرب القوم.[30]

حذف الهمزة: والقاعدة هاهنا أنّ الهمزة إذا كانت متحركة وكان الحرف الذي قبلها ساكنا جاز حذفها وإلقاء حركتها على الساكن قبلها نحو: من أبوك فتقول: (منَ بُوك) ،(وكم ابلك)، فتقول: (كم بِلك). وقد وردت شواهد في هذه الكيفية في النطق نثرا وشعرا وقراءات.

-أمّا النثر: ما حكاه أبو عليّ عن أبي عبيدة أنّه سمع:سدعه في حِرُ امّه«وذلك أنّه نقل ضمّة الهمزة -بعد حذفها-على الراء وهي مكسورة،فنفى الكسرة، وأعقب منها ضمّة.

وما حكاه أحمد بن يحي في خبر له مع ابن الأعرابي بحضرة سعيد بن سلم، عن امرأة قالت لبنات لها وقد خلون إلى أعرابي كان يألفهنّ: «أفي السَو تَنْتُنَّهْ».

قال أحمد بن يحي فقال لي ابن الأعرابي: تعال إلى هنا، اسمع ما تقول، قلت: وما في هذا.. !أرادت: «أفي السوْأة أنْتُنّه» فألقت فتحة (أنتنّ) على كسرة الهاء فصارت بعد تخفيف همزة (السوأة): «أفي السو تنتنه».[31]

-أمّا الشعر فقد أورد ابن جني شواهد كثير نذكر منها ما رواه عن الأخفش:

تَضِبُّ لِثَاتُ الْخَيْل في حَجَراتها   وتَسمعُ من تحت العجاج لَهَزْمَلا-

أراد "لها أزملا" فحذف الهمزة، ثمّ حذف ألف(ها)لفظا لسكونها وسكون (الزاي) من بعدها، وقال: أنشدنا أبو عليّ :

* إن لم أقتل فالبسوني برقُعا *

أراد : "فألبسون" ثمّ حذف الهمزة، وروى عن أحمد بن يحي :

أريتك إن شطت بك العامَ نِيَّة   وغالك مصطاف الحمى ومرابعه

أراد : "أرأيتك" حذف الهمزة الثانية.[32] أمّا القراءات القرآنية فهناك فيض من الآيات التي قرئت بحذف الهمزة اعتبارا للقاعدة التي أثبتناها:

الآية الأولى: قوله تعالى: (بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ)، قرئت (بما أنزلّيك) ونسبت القراءة للكسائي ووصفها بأنّها شاذة.

وعلّق ابن جني عن هذه القراءة فقال: وقياسه في تخفيف الهمزة أن تجعل الهمزة بين بين فتقول: بما أنزل إليك؛ لكنّه حذف الهمزة حذفا، وألقى حركتها على لام أنزل وقد كانت مفتوحة فغلبت الكسرة الفتحة على الموضع، فصار تقديره: (بما أنزلِلَيك) فالتقت اللامان متحركتين فأسكنت الأولى وادّغمت في الثانية.(33) وسبب ضعف قراءة الكسائي عند ابن جني أنّ الحرف إذا كان متحرّكا فلا يسوغ نقل حركة أخرى إليه عوضا.(34)

الآية الثانية : قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)البقرة/ قرئت بحذف همزة الاستفهام (سواء أنذرتهم)وحذفها تخفيفا لكراهة الهمزتين؛ لأنّ قوله (سواء عليهم) لابدّ أن يكون التسوية فيه بين شيئين أو أكثر من ذلك، ولمجيء (أم) من بعد ذلك أيضا وقد حذفت الهمزة في غير موضع من هذا الضرب.

قال عمران بن حطان:

فَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ آمِنًا لاَ كَمَعْشَرٍ أَتَوْنِي فَقَالُوا: مِنْ رَبِيعَةَ أَمْ مُضَر

فيمن قال: أم ؛ أي: أمن ربيعة أم مضر ؟ وقال: قال الكميت :

طَرِبتُ وَمَا شَوْقاً إِلَى الْبِيضِ أَطْرَبُ وَلاَ لَعِبًا مِنِّي وَذُو الشَّيْبِ يَلْعَبُ

استشهد به أبو حيّان على تقديم المفعول له على عامله، ردّاً على من منع ذلك، فإنّ شوقاً مفعول له مقدّم على عامله وهو أطرب.

واستشهد به ابن هشام في"المغني"على أنّ همزة الاستفهام لكونها أصلاً جاز حذفها سواء كانت مع (أم لا)، فإنّه أراد، فإنّه أراد: أو ذو الشيب يلعب؟ والاستفهام إنكاريّ.

وقال شارح السبع الهاشميّات: ذو الشيب خبر وليس باستفهام، والمعنى لم أطرب شوقاً إلى البيض، ولا طربت لعباً منّي وأنا ذو الشيب، وقد يلعب ذو الشيب ويطرب وإن كان قبيحاً به، ولكنّ طربي إلى أهل الفضائل والنّهى.[35]

قال ابن جني: وعلى كلّ حال فأخبرنا أبو عليّ الفارسي أن حذف الحرف ليس بقياس، وذلك أنّ الحرف نائب عن الفعل وفاعله، ألا ترى أنّك إذا قلت: ما قام زيد، فقد نابت(ما) عن(أنفي) كما نابت (إلاّ)عن أستثني، وكما نابت (الهمزة وهل)عن أستفهم وكما نابت حروف العطف عن (أعطف) نحو ذلك، فلو ذهبت تحذف الحرف لكان ذلك اختصارا واختصار الاختصار إجحاف به إلاّ أنّه إذا صحّ التوجه إليه جاز في بعض الأحوال حذفه لقوّة الدلالة عليه.[36]

الآية الثالثة: قال تعالى: (فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ) قرئت(فلثم عليه).قال ابن جني مبيّنا هذا الحذف:التقت ألف(لا)وثاء (الإثم)ساكنتين فحذف الألف من اللفظ لالتقاء الساكنين فصارت: (فلثم عليه)، ومثل ذلك سواءً مذهب الخليل بن أحمد في (لن) ألا ترى أنّ أصلها عنده لا أن فلمّا حذفت الهمزة التقت ألف (لا) مع نون (أن) فحذفت الألف من (لا) لالتقاء الساكنين، وقد جاء نظيرا لهذا من حذف الهمزة شيء صالح كثير منه قوله:

إنْ لم أُقاتِلْ فالبِسَوني بُرْقُعا

أراد (فألبسوني) ،ثمّ حذف الهمزة.[37] وقال: وقد اطرد الحذف في (كُلْ، وخُذْ ومُرْ) وحكى أبو زيد : لابَ لك (يريد : لا أب لك).[38]

وفي كيفيَّةِ حَذْفِ هذه الهمزة ثلاثةُ أوجه:

أحدها: -وهو الظاهر- أنه اسْتُثْقِلَ الجمعُ بين همزتين في فِعْلٍ اتصل به ضمير، فَخَفَّفَه بإسقاط إحدى الهمزتين، وكانت الثانيةُ أَوْلى؛ لأنها حَصَل بها الثقلُ، ولأنَّ حَذْفَها ثابتٌ في مضارع هذا الفعل نحو أرى، ويرى، ونرى، وترى، ولأنَّ حذف الأولى يُخلُّ بالفهم إذ هي للاستفهام.

الثاني: أنه أبدل الهمزة ألفاً كما فَعَل نافعٌ في رواية ورش فالتقى ساكنان فحذف أولهما وهو الألف.

الثالث: أنه أبدلها ياءً ثم سكَّنها ثم حَذَفَها لالتقاء الساكنين، قال أبو البقاء، وفيه بُعْدٌ، ثم قال: "وقَرَّب ذلك فيها حَذْفُها فيم مستقبل هذا الفعل" يعني في يرى وبابه.

ورجَّح بعضُهم مذهبَ الكسائيّ بأن الهمزة قد اجترِئ عليها بالحذف، وأنشد:

إنْ لم أُقاتِلْ فالبِسَوني بُرْقُعا

وأنشد لأبي الأسود:

يابا المُغيرةِ رُبَّ أمرٍ مُعْضِلٍ _ فرَّجْتُه بالمَكْرِ مني والدَّها

وقولهم: ﴿وَيْلُمِّه﴾ وقوله:

وَيْلُمِّها خُلَّةً قد سِيْطَ مِنْ دَمِها   فَجْعٌ وَوَلْعٌ وأخلافٌ وتَبْديلُ

وأنشد أيضاً:

ومَنْ رَاْ مثلَ مَعْدانَ بن سعدٍ _ إذا ما النِّسْعُ طال على المَطِيَّةْ

أي: ومن رأى.[39]

الآية الرابعة : قوله تعالى: (وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا) قرئت (وآتَيْتُمْ حْداَهُنَّ) وهي قراءة ابن محيصن ، وصل ألف إحداهنّ .

قال أبو الفتح: قد تقدّم نحو ذلك في قوله تعالى: (فلا اثم عليه) يريد (فلا إثم عليه) بشواهده، وهذا حذف صريح واعتباط مريح. وجاء عنهم: سا : يسو، وجا: يجي بحذف الهمزة فيهما.[40]

وقرأ ابن محيصن (وآتيتم احداهن) بوصل ألف (إحداهن) وهي لغة، كما قرىء: (أنها لإحدى الكبر) بوصل الألف، حذفت على جهة التحقيق ومنه قول الشاعر:

تَضِبُّ لِثاتُ الخَيْلِ في حَجَراتها _ وتَسْمَع من تحت العَجاج لها اَزْمَلا

يريد أَزْمَل فحذف الهمزة كما قالوا وَيْلُمِّه والأَزْمَل كل صوت مختلط والأَزْمَلُ الصوت الذي يخرج من قُنْب الدابة وهو وِعاء جُرْدانه.[41]نكتفي بهذه الأمثلة التي حذفت فيها الهمزة في النثر والشعر والقراءات،وإذا كان الشعر يجوز فيه الحذف لضرورة الشعرية، فإنّ القراءات القرآنية ليس فيها موضعا للضرورة كالشعر، ولا هي قليلة كما في الكلمات التي تعرضنا لها في كلامنا عن النثر ولذا لابدّ من التنبيه إلى أنّ القراءات التي ورد فيها حذف الهمزة قسمان:

(أ)- قسم حذفه مقيسا: وذلك بأن تكون الهمزة مسبوقة بساكن فتحذف وتلقى حركتها عليه: كقراءة من قرأ (قد فلح) المؤمنون وكذا قراءة من(فلثم عليه) فهذا الحذف مقيسا.

(ب)-وقسم حذفه غير مقيس: وذلك بأن يكون كقراءة ما قبل الهمزة متحرّكا وينظر تحته إلى الكلمات الباقية في القراءات السالفة وهي على قسمين: ما كانت الهمزة فيه للاستفهام وما لم تكن فيه الهمزة فيه للاستفهام.[42]

ولعلّه من المفيد التعرض لبعض القراءات التي وردت منسوبة إلى لهجاتها وهي في مجموعها تصلح قياسا لنسبة غيرها من القراءات المشابهة ونبدأ بالقراءات التي وردت مهموزة:

القراءات التي وردت مهموزة :

(أ)-قرئ: (يُؤْنُس ويُؤْسُف) والقصد (يونس ويوسف)بضمّ النون والسين والهمز فيهما وهي لغة بعض بني أسد.[43]

(ب)-قرأ ابن كثير: (سُؤْقه) لغة ضعيفة يهمز الواو التي قبلها ضمّة[44]، وله قراءة أخرى (بالسُّؤُوق) مهموز ممدود وشركه فيها ابن محيصن[45]قال الدمياطي: وقرأ (سُؤْقه) الفتح/29 بالهمز قنبل وروى له زيادة واو بعد الهمزة.[46]

(ج)-قال أبو الفتح: وقرأ سعيد بن جبير وعيسى بن عمر (من إعاء أخيه) يوسف/ وذلك قلب مطرد

في لغة هذيل قرئت بهمزة وأصله (وعاء) فأبدلت الواو-وإن كانت مكسورة- همزة كما قالوا في وسادة:إسادة، وفي وجَاج: إجاح وهو الستر. وهمز وُعاء بالضم أقيس من همز المكسور الواو، فعليه يحسن بل يقوى (أُعاء أخيه)..وقالوا في وجوه: أُجوه، وفي وُعِد أُعِد، وقالوا: أُجْنَة. قال أبو

حاتم ولم يقولوا وُجْنة بل ألزموها الهمز. وقد همزت الواو المفتوحة قالوا: أحد وأصله وَحد أعني أحد عشر ونحوها من أحد وعشرين إلى فوق.[47]

(د)- وقرأ الحسن وابن عباس وأبو رجاء وابن سيرين (وَلاَ أَدْرَأْتُكم به) يونس/16. قال أبو الفتح: هذه قراءة قديمة التناكر لها والتعجب منها. ولعمري إنّها في بادئ أمرها على ذلك غير أنّ لها وجها،وإن كانت فيه صنعة وإطالة. وطريقه أن يكون أراد (ولا أدريتكم به) ثمّ قلب الياء لانفتاح ما قبلها وإن كانت ساكنة ألفا كقولهم: في (ييئس : ياءس ، وفي ييبس: يابس) وكقولهم: (ضرب عليهم سايَة) وإنّما يريد (سيّة) وهي فعلة من سوّيت ، فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء فصار سيّة ثمّ قلبت الياء الأولى لانفتاح ما قبلها وإن كانت ساكنة ألفا فصارت (ساية).[48]

قال أبو حاتم: قلب الياء ألفا كما في لغة بني الحرث بن كعب: السلام علاك ثمّ همز على لغة من قال في العالم: العألم.[49]

تعليق:وعلّق د/عبد الصبور على هذه الروايات فقال: هذه الروايات وردت مهموزة ويلاحظ أنّ الهمز فيما قد وقع على حركة طويلة، أو صوت ليّن مزدوج، بحسب ما كانت عليه الكلمة قبل النبر فهم من المجموعة البدوية التميمية.

وأمّا هذيل فيبدو أنّ المقصود بعض بطونها، ويستأنس لذلك بما سبق قبل سطور، من أنّ هذيل كقريش لا يهمز، وفي ذلك دلالة على مدى التخالط والتأثر المتبادل بين قبائل الجزيرة حتى لا نجد الظاهرة ونقيضها في نطاق قبيلة واحدة.[50]

(هـ)-وقرأ أيوب السختياني (ولا الضألين) بالهمز. قال ابن جني: إنّ أيوب سئل عن هذه الهمزة فقال: هي بدل من المدّة لالتقاء الساكنين. واعلم أنّ أصل هذه ونحوه: (الضاللين) وهو (الفاعلون) من ضلّ يضلّ، فكره اجتماع حرفين متحركين من جنس واحد على غير الصور المحتملة في ذلك ، فأسكنت اللام الأولى وأدغمت في الآخرة فالتقى ساكنان: الألف واللام الأولى المدغمة فَزِيدَ في مدّة الألف، واعتمدت وطأة المدّ فكان نحوا من تحريك الألف وذلك أنّ الحرف يزيد صوت الألف بإشباع مدّته .

وحكى أبو العباس محمّد بن يزيد عن عثمان عن أبي زيد قال: سمعت عمرو بن عبيد يقرأ (فَيَوْمئذ لاَ يُسَأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْس وَلاَ جَأَنٌّ)الرحمن/74 ، قال : أبو زيد فظننته قد لحن إلى أن سمعت العرب تقول: شأَبَّة ومَأَدَّة، وعليه قول كثّير:

إِذَا مَا الْعَوَالِي بالعَبِيط احْمَأَرَّت

وقال كثير _أيضا-من قصيدة في مرثية عبد العزيز بن مروان :

ولِلأرض أما سُودُها فَتَجلّلتْ   بَيَاضا وأمّا بِيضُها فادْهَأَمَّت[51]

(و)- وقرأ علي والحسن وابن محيصن وأبو عمرو وأمّ الدرداء وابن أبي عبلة (لَيُنْبَذأَنّ) بالهمز وتشديد النون المكسورة[52]

(ز)-وقرأ: (مؤصدة)البلد/20 بالهمز أبو عمرو وحفص وحمزة ويعقوب وخلف من (آصدت الماء: أغلقته فهو مؤصد) وافقهم اليزيدي، والحسن والأعمش، وقرأ الباقون بالإبدال واوا كحمزة وقفا من (أوصد يوصد). وأبو عمرو عنده لا تبدل واو.[53]

القراءات التي وردت غير مهموزة:

(أ)-قرأ الجحدري (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ) بتسهيل الثانية وإدخال ألف قالون وأبو عمر وهشام من طريق ابن عيدان عن الحلواني، وكذا جعفر وافقهم اليزيدي وقرأ ورش من طريق الأصبهاني وابن كثير وكذا رويس بتسهيلها من غير إدخال ألف وهو أحد الوجهين عن الأزرق والثاني له إبدالها ألفا خالصة مع مدّ للساكنين وهما صحيحان ، وقرأ ابن ذكوان وهشام من مشهور طرق الداجوني عن أصحابه..وعن ابن محيصن (أنذرتكم) بهمزة واحدة مقصورة.[54]

قال أبو الفتح: هذا لابدّ فيه أن يكون تقديره (أأنذرتكم)ثمّ حذف همزة الاستفهام تخفيفا لكراهة همزتين؛ ولأنّ قوله: (سواء عليهم)لابدّ أن يكون التسوية فيه بين شيئين أو أكثر من ذلك ولمجيء (أم)من بعد ذلك أيضا وقد حذفت هذه الهمزة في غير موضع من هذا الضرب قال عمران ابن حطان:

فَأَصْبَحْتُ فيهم آمِنًا لاَ كَمَعْشَر ... أَتَوْني فَقَالُوا : مِنْ رَبِيعَة أَمْ مُضَر

فيمن قال : أم ، أي : أمن ربيعة أم مضر ؟ وقال الأسود بن يعفر :

لَعَمْرُكَ مَا أدري وإن كنتُ دَارِيًا ... شيعثُ بنُ سهم أم شُعيثُ بن مِنْقَر[55]

أما أبو حيان فله تعليق على هذه القراءة فقال: ولغة تميم تخفيف الهمزتين في نحو: (أأنذرتكم) وبه قرأ الكوفيون وابن ذكوان وهو الأصل .

وأهل الحجاز لا يرون الجمع بينهما طلبا للتخفيف فقرأ الحرميان وأبو عمرو وهشام بتحقيق الأولى وتسهيل الثانية إلاّ أنّ أبا عمرو وقالون وإسماعيل عن نافع وهشام يدخلون بينهما ألفا وابن كثير لا يدخل.[56]

أمّا الأخفش فله تخريج آخر مفاده أنّ قوله: (أأنذرتهم) فيها ألفان ألف (أنذرت) وهي مقطوعة ثمّ جعلت معها ألف الاستفهام فلذلك مددت وخففت الآخرة منهما لأنّه لا يلتقي همزتان.[57]

ب)-وقرأ أبو جعفر والحسن وابن مسعود (وإذا الرسل وُقّتت).[58] وهي لغة سفلى مضر.

ج)- وقرأ ابن سعدان عن أبي عمرو ، والبزي ويزيد (اللاَّيْ) بياء ساكنة من غير همز قال أبو حيان :

(وهو بدل مسموع لا مقيس وهي لغة قريش).[59]

د) - قراءة الحسن وأبي جعفر وشيبة والزهري (وبدت سوَّاتهما)الأعراف /20 بتشديد الواو.

قال أبو الفتح عن هذه القراءة: حكى سيبويه ذلك لغة قليلة، والوجه في تخفيف نحو ذلك أن تحذف الهمزة وتلقى حركتها على الواو قبلها في تخفيف نحو (السوءَة): السّوَة وفي تخفيف (الجيئة : الجية) ومنهم من يقول: السّوَّة: والجيَّة، وهو أدون اللغتين وأضعفهما ومنهم من يقول في المنفصل(أو أنت: أوَّنت)، وفي (أبو أيّوب: أبوَّيُّوب). والسوءَة في الأصل فَعْلَة من (ساء، يسوء)كالضربة والقتلة فأتاها التوحيد من قبل المصدرية التي فيها...[60]

هـ)-ومن قراءة الثّقفي: (سيْغا للشاربين)النحل /66 وقراءة الناس: (سائغا).

قال أبو الفتح: ينبغي أن يكون(سيْغ)هذا محذوف من (سَيِّغ)، كمَيْت وميِّت، وهيْن وهيِّن؛ وذلك أنّه من الواو، لقولهم ساغ شرابهم يسوغ.ولو كان (سَيْغ) فعلا لكان(سَوْغا).ومن قولهم: (هو أخوه سَوْغُه) أي: قابل له غير متباعد عنه، كالشراب إذا قبلته نفس شاربه ولم تنب عنه.[61]

وقرأ الأعرج وابن عامر ونافع: البرئة بالهمز من برأ، بمعنى خلق. والجمهور: بشد الياء، فاحتمل أن يكون أصله الهمز، ثم سهل بالإبدال وأدغم، واحتمل أن يكون من البراء، وهو التراب.

قال ابن عطية: وهذا الاشتقاق يجعل الهمز خطأ، وهو اشتقاق غير مُرْضٍ، ويعني اشتقاق البرية بلا همز من البرا، وهو التراب، فلا يجعله خطأ، بل قراءة الهمز مشتقة من برأ، وغير الهمز من البرا؛ والقراءتان قد تختلفان في الاشتقاق نحو: أو ننساها أو ننسها، فهو اشتقاق مُرْضٍ.

وقرأ أبو عمرو وورش عن نافع (يومنون) بغير همز وكذلك (يأكلون ويومرون) وحجتهما في ذلك ثقل الهمز وبعد مخرجها وما فيها من المشقة فطلب من تخفيفها ما لم يطلب من تخفيف ما سواها ولهذا قيل النطق بها كالتهوع، وورش يترك أيضا الهمزة المتحركة مثل: (لا يواخذكم و لا يوده) وأبو عمرو يهمز.

وحجته أن الهمزة الساكنة أثقل من المتحركة وذلك أن تخرج الهمزة الساكنة من الصدر ولا تخرج إلا مع حبس النفس والهمزة المتحركة تعينها حركتها وتعين المتكلم بها على خروجها فلذلك همز أبو عمرو المتحركة وترك الساكنة وترك أيضا ورش ما كان سكونها علامة للجزم نحو إن نشأ وتسؤهم وهمز أبو عمرو وحجته في ذلك أن الكلمة قد سقط منها حرف قبل الهمزة لسكونها وسكون الهمزة وهو الألف من نشاء والواو من تسوؤهم وسقطت حركة الهمزة للجزم فلو أسقط منها الهمزة لكان قد أسقط من الكلمة ثلاثة أشياء الهمزة وحركتها والألف فيخل بالكلمة.[62]

وختاما للموضوع: نقول: قد تحدثت كتبُ علم القراءات بالتفصيل في موضوع الهمز في اللهجات العربية، وأثره في اختلاف القراءات، ونكتفي بخلاصة ما تقدّم بيانه:

1-إنّ هذه القراءات أثبتناها تمثيلا لا حصرا كلّها حجازية وردت فيها الهمزة مخففة أو مبدلة بحرف أخر أو بإسقاطها مّما يدلّ أنّ الهمز والتسهيل ظاهرة ليست مختصة ببيئة معيّنة وإنّما هناك تأثير وتأثر بين اللهجات العربية.

2- إنّ هذه القراءات تؤكّد أنّ تحقيق الهمزة أكثر انتشارا لدى القبائل البدوية لعلّة ذكرناها، وأنّ تسهيلها لدى القبائل المستقرّة المتحضرة.

3- وتجمع كتب العربية على أنّ تحقيق الهمزة من لهجات تميم وقيس وأسد ومن جاورها أي: قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها، وأنّ تسهيلها لهجة أهل الحجاز.

وليست القبائل التي تهمز كلّها على درجة واحدة في الهمز، بل منهم من يذهب في تحقيقها مذهبا بعيدا فيبدل الألف والواو والياء همزة وهم بنو أسد، ذكر الفراء أنّ همز (يأجوج ومأجوج) لغة بني أسد، وجهه في العربية ما رواه ابن جني عن العجاج أنّه كان يهمز العألم والخأتم.(63) قال العجاج:

فخِنْدِفُ هامة هذا العألم

وحكى اللحياني عنهم (بأز) بالهمز.وحكى بعضهم قوقأت الدجاجة، وحلّأت السويق ورثأت المرأة زوجها ، ولبّأ الرجل بالحج، وهذا كلّه شاذ غير مطرد في القياس ونحوه قول ابن كُثْوة:

ولّى نَعام بني صَفوانَ زَوْزَأَةً لمّا رأى أسَدًا في الغاب قد وثبا

أراد (زوزاة) غير مهموزة.(64)

ولما كان للبيئة أثر في نطق الناطقين فإنّ الهمز يناسب البيئة البدوية لطبيعتها وخشونة عيشها انعكس ذلك على نطق أهلها، والهمز ثبت أنّها صوت شديد؛ لأنّه صوت حنجري انفجاري لا هو بالمجهور ولا بالمهموس، ووصفه ابن جني فقال: وإنّما لم تجتمع الفاء والعين ولا العين واللام همزتين لقل الهمزة الواحدة لأنّها حرف سفل في الحقل وبعد عن الحروف وحصل طرفا فكان النطق به تكلّفا(65)

وقد تقدّم تعريف ابن يعيش للهمزة بأنّه حرف شديد مستثقل من أقصى الحلق إذ كان أدخل الحروف في الحلق فاستثقل النطق به إذ كان إخراجه كـ(التهوع) فلذلك من الاستثقال ساغ فيها التخفيف وهو لغة

قريش وأكثر أهل الحجاز(أي: مكّة والمدينة لتحضرهما ويناسب طبعهما) وهو نوع استحسان لثقل الهمزة والتحقيق لغة تميم وقيس عيلان (لبداويتها وجفاوة طبعها) وعندهم أنّ الهمزة حرف فوجب الإتيان به كغيره من الحروف.[66]

مع كلّ ما أثبتناه يدل دلالة قاطعة أن القراءات المروية على اختلافها شملت اللهجات العربية وهذا الهمز دليل على أنّه منتشر في اللغة العربية كما يتضح من خلال القراءات التي سبق لنا إثباتها وكما هو دليل قاطع على أنّ هذه العربية المشتركة التي نعرفها في النصوص الجاهلية لم تقم على لهجة قريش وحدها، أو بعبارة أخرى ليست لهجة قريش هي هذه العربية المشتركة على ما ذهب إليه القدماء والمحدثون[67]وهو رأي جدير بالاحترام والقبول؛ لأنّ ما هو موجود في القرآن الكريم ونصّت عليه الآية: (بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ .)

الهوامش:

1- لسان العرب ، ابن منظور ، (مادة : همز)

2- القواعد والإشارات في أصول القراءات ، أبو العباس الحموي ، ص: 49

3- القواعد والإشارات في أصول القراءات ، أبو العباس الحموي ، ص: 46-47

4- لسان العرب، ابن منظور ، (مادة : نبر) والحديث أخرجه الحاكم في مستدركه وضعّفه الذهبي وقال: هو حديث منكر .

5- سرّ صناعة الإعراب ، ابن جني ، 481

6-الكتاب الأوسط في علم القراءات، الإمام أبو محمد الحسن بن عليّ بن سعيد المقرئ العماني، ص: 192 تحقيق د/عزة حسن.

7- الدر المصون في علم الكتاب المكنون، 2981

8- جامع الأحكام ، القرطبي ، 391

9- رواه البخاري ومسلم والآية ، من سورة النساء رقم 40

10 – منا هل العرفان ، الزرقاني ، 4061

11- منجد المقرئين ، ابن الجزري ، ص:20-21

12- القراءات وأثرها في التفسير ، د/محمّد بازمول ، 1171161

13- الكتاب ، سيبويه ، 5423

14- شرح المفصل ، ابن يعيش ، 1079

15- الكتاب ، سيبويه ، 4052

16- سرّ صناعة الإعراب ، ابن جني ، 711

17- البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، 411

18- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، 1141 تنبيه : البيت نسبه البغدادي لمضرس بن ربعي

19- معاني القرآن ، الأخفش الأوسط ، 43401

20- في اللهجات العربية ، د/ إبراهيم أنيس ، ص: 66

21-لسان العرب ، ابن منظور ، (مقدّمة لسان العرب) 22/1

22- في اللهجات العربية ، د/ إبراهيم أنيس ، صك 109-110

23- في اللهجات العربية ، د/ إبراهيم أنيس ، ص: 110-111 تنبيه : ويؤيد ما ذهبنا إليه : أنّ ظاهرة قلب الهمزة لا تزال شائعة في بعض اللهجات الحديثة لدى بعض القبائل العربية في الجزائر وخاصة لدى

أولاد بسام ،وأولاد عياد بتيسمسيلت ، وكذلك لدى قبيلة الزناخرة وأولاد أحمد ولدى القبائل المحيطة بقصر الشلالة، فنحن نسمع حتى الآن لدى هذه القبائل من يقول: القرعان بدلا من القرآن ، السعال بدلا من السؤال ، علف بدلا من ألف . . الخ

24- تهذيب اللغة ، الأزهري (مادة : همز)

25- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، د/ عبد الصبور شاهين ، ص: 30-31

26- الكتاب ، سيبويه ، 5553

27- البحر المحيط ، 4992

28- في اللهجات العربية ، د/ إبراهيم أنيس ، ص: 127

29- القراءات القرآنية ، د/ عبد الصبور شاهين ، ص: 33-34

30- جامع البيان في تفسير القرآن ، الطبري ، 451

31- الخصائص ، ابن جني ، 1421413

32- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، 2091

33- الخصائص ، ابن جني ، 1413

34- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، 2821

35- خزانة الأدب، البغدادي، 612

36- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، 1291

37- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، 1/208-209

38- الخصائص ، ابن جني ، 3/ 151

39- الدر المصون في علم الكتاب المكنون، 2076

40- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، 2851

41- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 1015

42- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ، ص: 182-183

43- شواذ القراءات ، الكرماني ، ص: 66

44- البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، 1038

45-شواذ القراءات ، الكرماني ، ص: 208

46- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر الدمياطي ، ص: 511

47- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، 202

48-المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، 4291

49- البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، 1335
50- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، ص: 34-35
51- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، 1/124-125
52- شواذ القراءات الكرماني ، ص : 210 . البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، 5108
53- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ، الدمياطي ، ص: 585
54- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر ،الدمياطي ، ص: 169
55- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، 1291
56- البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، 791
57- معاني القرآن ، الأخفش الأوسط ، 1822
58-المحتسب في تبين وجوه الشواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، 202
59- البحر المحيط ، أبو حيان الأندلسي ، 2117
60- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، 1/353--354
61- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، 542
62- حجة القراءات لابن زنجلة، 851
63- المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، ابن جني ، 901
64- سرّ صناعة الإعراب ، ابن جني ، 901
65- سرّ صناعة الإعراب ، ابن جني ، 811
66- شرح المفصل ، ابن يعيش ، 1079
67-اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، د/ عبده الراجحي ، ص: 108